الدرس (14): ترجمة مصطلحات لسانيات النص

تمهيد:

تعد لسانيات النص من أحدث مجالات البحث في الدرس اللغوي، لكن سرعان ما اشتد عودها، وترسخ طرحها بالنظر إلى الدراسات الكثيرة التي قدمت في هذا المجال، انتقالا من ذلك التحول المنهجي في البحث والتحليل من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص أو لسانيات النصوص، الأمر الذي فرض الحاجة إلى منظومة اصطلاحية تعبر عن هذا الطرح الانتقالي الخاص في الدرس اللساني الغربي، ولم يكن هذا النتاج الاصطلاحي بمعزل عن الترجمة إلى اللغة العربية؛ حيث تعددت المصطلحات الدالة على هذا المفهوم إيذانا بوجود إشكال يفرضه المصطلح في علم اللغة النصي.

مصطلح النص (Texte):

النص مصطلح يقابله في اللغة اللاتينية مصطلح (Textus)، الذي يرجع في الأصل إلى الفعل نصّ (texère)، وهو يفيد في اللغة العربية معنى النسيج؛ ويأخذ النص هذه الدلالة على أساس أنه ينتج عن نسيج من العناصر المكونة له؛ حيث تتميز بتماسكها وارتباطها ببعضها؛ وهذا ما يجعلها أشبه بالنسيج؛ والمقصود به النسيج النصي[1].

ويأخذ النص خاصيته التركيبية من مجموع العناصر اللغوية التي تشكله؛ حيث يتميز بالترابط والتماسك البنيوي تبعا لترابط هذه العناصر وتماسكها، ومع ذلك يصعب تحديد سماته بالنظر إلى طبيعته اللغوية المتغيرة وفقا لتغير معطيات السياق التبليغي الخاص به.

كما يتعامل الدرس اللغوي مع مصطلح النص في سياق بعض المصطلحات اللسانية المجاورة له؛ حيث يكتسب المزيد من القيم المتغيرة على غرارها غالبا، خاصة مصطلح الملفوظ؛ إذ يأتي النص مرادفا للملفوظ في كونه عبارة عن متوالية لغوية مستقلة بذاتها كتابة أو مشافهة، وقد يصدر عن متلفظ واحد أو أكثر من ذلك في سياق التبليغ والاتصال[2].

[1]– ينظر: محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ص19.

[2]– ينظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر. محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، لبنان/الجزائر، ط1، 2008، ص127.

وتختلف محددات النص باختلاف التخصص اللساني الذي يدرسه؛ وفي هذا السياق «تنطلق اللسانيات النصية من أن النص بنية متماسكة ذات نسق داخلي تربط بين عناصره علاقات منطقية ونحوية ودلالية، وهو ما وفّر لهذه البنية نوعا من الثبات مما يجعل دراستها دراسة علمية أمرا ممكنا»[1].

النص من منظور اللسانيات النصية يشتمل على مجموع العناصر القارة نسبيا التي تشكل «بنية لغوية قائمة بذاتها، وأنها ذات مدار مغلق»[2]؛ حيث تتميز بما تشتمل عليه من مظاهر الاتساق والانسجام، وما تحتكم إليه من معايير منتجة للنص، والكشف عن مختلف الأغراض والمقاصد التي كُتب من أجلها.

مصطلح لسانيات النص (Text Linguistics):

تتعدد تسميات هذا الفرع من علم اللغة الحديث؛ وذلك تبعا لتعدد المقابلات الاصطلاحية التي قدمتها الترجمة العربية للمصطلح الأجنبي (Text Linguistics)؛ نذكر منها: "علم النص"، و"لسانيات النص"، و"لسانيات النصوص"، و"علم لغة النص" وغيرها.

اعتمد "صلاح فضل" مصطلح "علم النص" حين عاب على الدرس اللغوي النصي عمومية مقولاته بالنسبة لإجراء مفاهيمها التطبيقية على مختلف النصوص بغض النظر عن أجناسها؛ وذلك جراء انفتاحه على مختلف العلوم الإنسانية الأخرى[3].

ومن الباحثين وهم كثر من يعتمد مصطلح "لسانيات النص"، وأحيانا يذهب بعضهم إلى استعمال مصطلح "لسانيات النصوص"؛ كما هو الحال عند "الأزهر الزنّاد" حين تحدث عن معايير تصنيف الجملة؛ والتي اعتبرها أكثر استقرارا وتجريدا مقارنة بتصنيف النصوص التي تتميز بالتعدد وعدم الثبات؛ حيث قال: «وهذا التعدد يعود إلى تداخل بين معايير علوم مختلفة تلتقي في موضوع واحد هو "النص"، وكل واحدمنها يرصد فيه شيئا ويغيّب من اهتمامه أشياء أخرى، وهذا مدخل الضرورة في بناء علم مستقل متميز عن كل علم آخر هو "لسانيات النص" (Text Linguistics) أو النصوص في معنى النحو الواسع» [4].

---

[1]– محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص10.

[2]– نفسه، ص22.

[3]– ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أغسطس 1992، ص248.

[4]– الأزهر الزنّاد، نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص18.

إنه لا يرى اختلافا بين لسانيات النص أو النصوص والنحو في معناه الواسع الذي يشمل كل القواعد والقوانين التي يحتكم إليها نظام اللغة في الاستعمال، وهذا ما يحيل إلى مصطلح آخر ألا وهو نحو النص أو النصوص دون الفصل بينهما بشكل واضح.

أما مصطلح "علم لغة النص" فاعتمده "سعيد حسن بحيري" في معرض حديثه عن التداخل المعرفي بين لسانيات النص وغيرها من علوم اللغة؛ حيث قال: «والحق أن تبادل مصطلحات علم لغة النص ومفاهيمه وتصوراته بين علوم مختلفة يجعل من تحديد موضوعه عملية غاية في الصعوبة، إذ إن موضوعه لم يحدد تحديدا دقيقا، بحيث يمكن أن يقال إنه ليس أكثر من اصطلاح لنظرات متباينة، بل لفروع عملية مختلفة إلى حد بعيد، بل يذهب أكثر من باحث إلى أن مقولاته بوجه خاص لا يسودها اتفاق إلا بشكل ضئيل جدا؛ فكل مؤلف يورد جديدا يخالف به غيره»[1].

وعدم اتفاق الباحثين حول وضع حد دقيق معرفيا لهذا المصطلح خلق نوعا من الاضطراب وترك الباب مفتوحا في وجه الاجتهاد لدى الباحث الواحد فنجده لا يتوقف عن الإتيان بالجديد، فما بالك بغيره من الباحثين، وقد نلتمس لهؤلاء جميعا عذر البدايات حين تكون المعرفة في طور النشأة حيث تستند إلى غيرها من المعارف في رسم مسارها اصطلاحا ومفهوما.

ويطلق المترجم العربي مصطلحين مختلفين للدلالة على المفهوم ذاته؛ وذلك بسبب اختلاف اللغات في تسمية "علم اللغة النصي"؛ ففي اللغة الفرنسية يطلق عليه مصطلح (Science du Texte) ويقابله في اللغة العربية مصطلح علم النص، وفي اللغة الإنجليزية يطلق عليه مصطلح (discourse analysis) ويقابله في اللغة العربية مصطلح تحليل الخطاب[2].

إن تعدد المصطلحات التي تم اعتمادها في الدرس اللساني العربي؛ للدلالة على لسانيات النص على سبيل الترادف بقدر ما دلت على صفة الانفتاح المعرفي التي ميّزت هذا المبحث، بقدر ما زادت من احتكاكه بالمعارف اللغوية وغير اللغوية الأخرى إلى درجة التقاطع والتداخل، وهذا ما حال دون استقلاله واستقراره مصطلحا ومنهجا.

---

[1]– سعيد حسن بحيري، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، مكتبة لبنان ناشرون والشركة المصرية العالمية للنشر –لونجمان، لبنان/مصر، 1997، ص15.

[2]– ينظر: تون أ. فان دايك، علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات، تر. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص14.

منهج البحث في لسانيات النص:

لسانيات النص فرع حديث من فروع علم اللغة؛ يعكس مظهرا من مظاهر الحداثة النظرية والإجرائية في معالجة الظاهرة اللغوية، وترجع تسميته إلى عالم اللغة "هارالد فاينريش" (Harald Weinrich) (1967)، أما عن موضوعه فيتمثل في كيفية بناء النص[1].

وإذا كان أعلام البنيوية، والنظرية التحويلية؛ أمثال "بلومفيلد" و"تشومسكي" وغيرهما يذهبون إلى القول بأن الجملة أكبر وحدة يمكن وصفها في الدرس النحوي وأنها مستقلة بذاتها، فإن أعلام لسانيات النص قد قدموا طرحا مخالفا لهذا التصور مفاده أن العلامة اللغوية الأساسية تتمثل في النص وليس الجملة، وأن عملية التواصل التي يمارسها أفراد الجماعة اللغوي لا تقوم على أساس الجمل المفردة المنعزلة، بل تتم في شكل سلسلة من الجمل المتتابعة والمترابطة[2].

تتعامل اللسانيات النصية مع النص على أنه العلامة اللغوية الأساسية في عملية التواصل لدى الأفراد؛ أما بالنسبة للجملة فما هي إلا عنصر فرعي يدخل في تكوين هذه العلامة من منطلق علاقات الترابط والاتصال والتتابع التي تجمعها بغيرها من الجمل.

هكذا ارتبط علم اللغة النصي ارتباطا وثيقا بمفهوم النص؛ «فهو ينطلق منه لدراسته دراسة لسانية تقوم على وصفه، وتحليله بمنهج خاص، ويتخطى هذا المنهج المناهج اللغوية القديمة التي وقفت عند حدود الجملة جاعلة منها الوحدة الكبرى للدرس اللغوي»[3].

وقد مرت الدراسات اللغوية الأولى في حقل لسانيات النص بالعديد من التحولات المنهجية؛ بالرغم من حداثة نشأتها، وتدرجها النسبي في تطور المفاهيم واستحداث المصطلحات؛ حيث يمكن رصد ثلاث مراحل تأسيسية لها؛ تتمثل في[4]:

---

[1]- ينظر: عزمي محمد عيال سلمان، لسانيات النص وتحليل الخطاب (النشأة والتطور)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2020، ص10.

[2]- ينظر: نفسه، ص10.

[3]- جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص (دراسة لسانية نصية)، النادي الأدبي والمركز الثقافي العربي، الرياض/ الدار البيضاء، ط1، 2009، ص19.

[4]- ينظر: أدمتسيك كيرستن، لسانيات النص (عرض تأسيس)، تر. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2009، ص15-16.

1- تراجع الاتجاه اللساني الذي يتخذ من الجملة موضوعا له في مقابل اتجاه آخر يركز أكثر على مختلف الوسائل اللغوية التي تربط الجملة بغيرها في هيئة سلسلة من الجمل على سبيل التتابع والترابط.

2- تقدم الاتجاه التواصلي الذي لا يتعامل مع النص بوصفه تتابعا من الجمل، وإنما بوصفه بنية كلية تؤدي وظيفة تواصلية معينة.

3- الاتجاه الإدراكي الذي يتخذ من إنتاج النصوص وتلقيها موضوعا أساسيا له.

أما عن روافد التي ساهمت في طرح مفاهيم الدرس اللساني النصي؛ «فإن نشأة اللسانيات النصية مدينة للنحو التوليدي الذي أسهم بشكل مباشر في الانتقال من بنية الجملة ومكوناتها القاعدية إلى البحث المنظم في العلاقات بين الجمل في بنية أكبر يمثلها النص»[1].

تعد هذه الإفادة المعرفية المرجع الأساسي الذي انطلقت منه اللسانيات النصية في إرساء موضوعها؛ كما أنها تؤكد صلتها القوية بالنحو التوليدي، ومع ذلك اجتهدت كثيرا في الاستقلال عنه، فأصبحت فرعا مستحدثا من فروع الدرس اللساني الحديث.

وقد اشتملت اللسانيات النصية على عدة اتجاهات بحثية في دراستها للثنائية المركزية "النص/الخطاب"؛ حيث «يمكن إرجاع هذه الاتجاهات النصية المتعددة إلى نمطين رئيسين؛ أحدهما يسمى: (لسانيات النص القائمة على أساس النظام اللغوي)، ويمثل المرحلة المبكرة في تطور الدراسات اللغوية المعنية بمقاربة النص، والنمط الآخر يسمى: (لسانيات النص الموجهة على أساس نظرية التواصل)، ويمثل المرحلة اللاحقة المتطورة التي سيطرت على معظم الدراسات المتعلقة بنظرية النص»[2].

وبالرغم من كثرة الجهود البحثية المقدمة في الدراسات اللسانية النصية، والتي تُعنى بمفهومي النص والخطاب إلا أنها قد توزعت على اتجاهين أساسين؛ هما الاتجاه اللساني الذي يعنى بالبحث في النظام اللغوي للجمل، والاتجاه التواصلي الذي يعنى بالنشاط التداولي للجمل في الاستعمال اللغوي، وقد واجهت الدراسات اللسانية النصية صعوبات معرفية عدة في فرض حضورها خاصة في بداياتها بسبب حداثة طرحها مقارنة بالفكر اللساني السائد آنذاك.

[1]- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، (دراسة معجمية)، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتويع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص9.

[2]- عزمي محمد عيال سلمان، لسانيات النص وتحليل الخطاب (النشأة والتطور)، ص10.

مصطلح الانسجام/الاتساق (Cohérence/Cohésion):

يعد اتساق النص وانسجامه من أهم المفاهيم التي تحضر بقوة في دراسات تحليل الخطاب، ولسانيات الخطاب، ونحو النص، ولسانيات النص، ويقصد بالاتساق «ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص/خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته، ومن أجل وصف اتساق الخطاب/النص يسلك المحلل- الواصف طريقة خطية، متدرجا من بداية الخطاب (الجملة الثانية منه غالبا) حتى نهايته، راصدا الضمائر والإشارات المحلية، إحالة قبلية أو بعدية، مهتما أيضا بوسائل الربط المتنوعة كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة والاستدراك ...»[1].

تشكل الثنائية المركزية النص/الخطاب وحدة كلية كبرى بفضل عناصر الاتساق التي تعمل على جعلها أكثر تماسكا وترابطا؛ وتتنوع هذه العناصر بتنوع السياق اللغوي للجمل داخل هذه الثنائية؛ حيث يخضع لنظام اللغة المعتمد لدى أصحابها.

وتتخذ لسانيات النص من دراسة الانسجام والاتساق موضوعا لها؛ أي البحث في الطريقة التي بمقتضاها تشكل سلسلة من الجمل وحدة نصية، مع فرضية وجود اختلاف بينهما؛ ذلك أن الاتساق ينتج عن تسلسل الجمل وخطية النص (linéarité)، بينما الانسجام فيقوم على الاتساق مع فرض قوانين تتعلق بالسياق ونوع الخطاب، ولا يسلم مفهوم الاتساق من عدم الوضوح بسبب تعدد المصطلحات الدالة عليه، فهناك من يعتمد مصطلح الاتصال/الارتباط (connexité) بدلا من الاتساق في دراسة لسانيات النص، في حين أن هناك من يفهم الاتساق على أنه يتعلق بالعلاقات التي تؤديها أدوات الوصل والربط بين الجمل[2].

ولكي نحكم على نص ما بصفة الاتساق لابد من اشتماله على مؤشرات تدل عليه، وتحقق حضور هذه الصفة فيه؛ «غير أن النص قد يجلي مؤشرات الاتساق التام دون أن يكون مع ذلك منسجما، لكي يكون النص منسجما، يجب ربطه بقصد شامل؛ أي (غاية إنشائية) محايثة لنوع خطابها»[3].

---

[1]- محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، لبنان-المغرب، ط1، 1991، ص5.

[2]- ينظر: دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص18.

[3]- نفسه، ص20.

وبغض النظر عن فرضية وجود اختلاف بين مفهومي الاتساق والانسجام على أساس أن الاتساق يحقق الربط بين الجمل في الوحدة النصية، بينما يتعلق الانسجام بالسياق ونوع الخطاب، ومهما تعدد المصطلحات الدالة على معنى الاتساق فإن اللسانيات النصية قد اتخذت من ثنائية الاتساق/الانسجام مفهوما مركزيا لها.

ويمكن القول أخيرا أن المنظومة المصطلحية في الدراسات اللسانية النصية، تفتقر للاستقرار والوضوح والاتفاق بسب تعدد المصطلحات المرادفة لمصطلح "لسانيات النص" في الترجمة العربية التي تستمد مبرراتها من حداثة هذا الفرع من فروع علم اللغة، فضلا عن كونه قد نشأ وتطور في ملتقى العديد من التخصصات والمعارف اللغوية وغيرها.